وكان يقوم بامرها بعض رهبان من قانونيي القديس اغوسطينوس الى سنة ١١٨٧. ويظهر مما اخبر به ويلبران اولدنبورغ (Willebrand d'Oldenburg) في رحلته الى الاراضي المقدسة سنة ١٢١٢ انهُ كان في جبل صهيون دير فخيم عظيم البناء يقيم فيهِ لفيفٌ من السريان وكانوا يدلّون الزوّار على مكان الحجرة التي تمّ فيها العشاء السرّي

وسنة ١٢١٩ قدم الى القدس الرهبان الاصغرون بمعيّة رئيسهم القديس فرنسيس موسّس الرهبنة المنتمية اليهِ واقاموا في جبل صهيون قرب دير قانونيي القديس اغوسطينوس المهجور. وسنة ١٢٢٧ سكنوا الدير المذكور وكان قد منحهم اياهُ الملك الكامل فسكنوهُ الى سنة ١٢٩٠ في ايام الملك الاشرف صلاح الدين خليل صاحب الديار المصريّة. ثمّ عادوا اليهِ برخصة الملك الناصر اخي الملك الاشرف وجعلهُ البابا اقليمس السادس في حراستهم ببراءتهِ الصادرة سنة ١٣٤٣ وبقي في حوزتهم الى سنة ١٥٥٩ فحوّل جامعاً وعُرف بجامع النبي داود الى اليوم

ترجمة العالم المأسوف عليهِ

يوسف حبيب باخوس

بقلم الاديب نجيب افندي فارس باخوس

اخذت مجلة المشرق الغرّاء تنشر حيناً بعد آخر تراجم البعض من رجال العلم في ديارنا الشرقيّة الذين اشتهر فضلهم وبعد صيتهم. مدوّنةً من اقوالهم ما حسن وطاب ومَوردة من نفثاتهم ما ترتاح اليهِ نفوس الأدباء طرّاً. مما حملنا الان ان نهدي اليها شذرة من الكلام على حياة من كان من اعظم نصراء اللغة العربيّة ومن اعون اهلها على احيائها في البلاد المغربية. وهو العالم الشهير والكاتب الجيد المرحوم يوسف حبيب باخوس فنقول: «وصاحب البيت ادرى بما فيهِ»

ولد رحمة الله عليهِ في بلدة غزير قاعدة كسروان في ٥ ايار من سنة ١٨٤٥ ولما بلغ اشده ادخلهُ والده مدرسة ماري عبدا هرهريا في عرامون بجوار غزير الشهيرة في

ذلك الحين فدرس فيها اللغة العربيَّة والايطالية واللاتينيَّة والسريانيَّة والعلوم الفلسفيَّة والتاريخية وبرع في جميعها لاسيما في اللغة العربيَّة التي جعلها غاية همه ومرمى لسهمه

وكان حضرة رئيسه ومدرّسوه الافاضل يعجبون بتوقد فؤاده وحدَّة ذكائه وخصوصاً بغرابة حافظته وسرعة خاطره (١. وبعد ان انهى دروسه في المدرسة المشار اليها درس الفقه وقوانين دولتنا العلية على الاب العالم المأسوف عليه الخوري ارسانيوس الناخوري (٢. ثم عُيّن مدرّساً للبيان في اللغة العربيَّة في مدرسة عينطورا للاباء اللازاريين على عهد رئاسة حضرة الاب كركيل الطيب الذكر. ولهُ في مدحه قصائد عديدة (وهي اول قوافيه) لم نقف الّا على واحدة منها دفعها اليه بمناسبة عام ١٨٧٠ وهذا مطلعها:

ضياء العيد من افق السلام تبدّى مُشرقاً في بدء عام

. . . . . .

ومنها في التخلص

جانبك الليالي البيض حتّى فاذى حسنُها طيبَ المنام
وأمّت ربع اقوام كرام تدير عليهم كأسَ المدام
مشمشمةً كأنَّ بها خلالاً تضاحي خلق كركيل الهمام

ومنها في الختام:

---

١) اتفق ان الاب الشاعر الشهير المرحوم الخوري يوحنا رعد التزيري نظم قصيدة فريدة في بابها ورفعها لنيطة البطريرك المثلّث الرحمات بولس مسعد يستقرهُ زيتطفهُ وهذا مطلعها:

ارقعْ سجوفك لمّةٌ لناظري وأنرْ بلحظك دجن وحشة خاطري

فاشتهر امر هذه القصيدة وتحدث بها ذوو العلم والادب فهاجت بهم الاشواق الى مطالعتها فطلبوا من ناظمها ان يسمح لهم باستنساخها فابى عليهم ذلك لانهُ كان شديد الحرص على كلامه. فسكتوا وفي قلوبهم شيء منها. ثم لم يمضِ حين من الزمان حتّى عرضت لصاحب هذه الترجمة حاجة اوجبت مجيئهُ الى بيته في غزير فرغب اليهِ بعض اساتذته وارفاقه ان يمتال في نسخ هذه المنظومة الرائعة. فوعدهم بذلك الّا انهُ لم ينجح مساء بل ذهب احتيالهُ ادراج الرياح. اخيراً طلب اليهِ ان يتلوها على مسامعه فتلى. ثم تناولها من يده واخذ فيها النظر مقدار خمس دقائق (كذا روى المرحوم يوحنا رعد) ثم اعادها اليهِ وتركهُ بقوله: «لقد قضي الامر». وفي المساء رجع الى المدرسة فاعاد على مسامع الاساتذة والطلبة ابيات تلك القصيدة برمّتها وعدد قوافيها يناهز السبعين. فتأمل

٢) راجع ترجمتهُ في المشرق (٣: ٦١٤)

فلا زالت شموسك طالعاتٍ بافق السعد يا خير الكرام

وفي مدة وجوده في هذه المدرسة انصبّ على درس اللغة الافرنسيَّة بمزيد الهمة والنشاط حتى حذقها ومهر فيها. وهناك ألّف كتابه «الهدية السنيَّة لابناء المدرسة العازاريَّة» وهو مؤلف جزيل الفائدة قد ضمنهُ جلَّ القواعد الصرفيَّة والنحويَّة في اللغة العربيَّة جرى فيهِ مأمورًا على الخطة المتبوعة هناك في تعليم القواعد الافرنسيَّة وقد نشر بالطبع مرتين

ثم ما لبث ان ترك مدرسة عينطورا وابحر الى الاستانة العلية لقضاء بعض المهامّ. فنال اذ ذاك حظوة في اعين رجال الدولة العظام وامتدح بعضهم بقصائد غرّاء. نذكر منها واحدة قد نظمها في مدح صفوت باشا وزير الخارجيَّة في ذلك الحين قال في مطلعها:

هي المراتب قد عزّت مبانيها والحزم والعزمُ طبعًا من بواديها
وذي المعالي فمَن دام الدّراك لها بالفخر فالجدُّ بُيّتهِ معاليها
لا يدرك المجدَ الّا فارسٌ بطل ولا يؤمُّ المعالي غيرُ واليها
لا بدَّ للمجد من شهم ومن نَبَهٍ يُزهى بهِ المجد في عليائهِ تيها
كالفرد صَفْوتَ من تاهت بعزّتهِ مراتب المجد دانيها وقاصيها
هو الوزير الذي شاعت مآثره في المجد لا يبرح التاريخ يرويها

ومنها: واقبلت شعراء العصر تنشدها وتستهلّ القوافي من معانيها

ومنها في الختام:

حمدًا وشكرًا لمولانا العزيز على إنعامهِ حين اعطى القوسَ باريها
سلطاننا المالك الدنيا بقبضتهِ مولى الخلافة ملجاها وكاليها
يا ربّ خلّدْ مدى الايام شوكتهُ واحفظ عداتهُ وردًّا لظابيها
يا ربّ نعّم وعاياه برأفتهِ وغيث نعمته لا زال يحييها

ثم آب الى بيروت وعُيّن مدرّسًا للفصاحة العربيَّة في مدرسة الحكمة المارونية لسيادة مؤسسها الفضال المطران يوسف الدبس (اطال الله في ايامه) الذي قدّره حق قدرهِ فاجلّه ورفع منزلته ولهُ في مدح سيادتهِ القوافي المتينة والمنظومات الرائعة. منها قصيدة في «حكمة النفس» قد سبق نشرها في هذه المجلة (١. ومنها قصيدة اخرى رفعها اليهِ في اليوم الحادي عشر من شهر شباط لسنة ١٨٧٢ بمناسبة تذكار ارتقائهِ سدّة ابرشية

١) راجع المشرق (٣: ٢٢٣)

بيروت لم نقف الّا على ثلاثة ابيات منها مكتوبة بالقلم الرصاصي وهي :

حيّوا المعالي فبدرُ الحسن قد طلعا وكوكب السعد في افق الحمى لمعا
وبشّروا المجد من اعلا مراتبه واستبشروا انّ غاية الحظّ قد رجعا
. . . . . .
وقام بالدين والدنيا بقبضته ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا

ومن قصيدة لهُ في بيان « محاسن اللغة العربيّة » رفعها لسيادة الحبر المشار اليه قال في مطلعها :

للشعر في خطرات الفكر آمالُ وللقصائد إعراض واقبالُ
وللعروض بحارٌ عمَّ طالبها طوراً تداها وطوراً خاب تأّلُ
وللمعاني اذا جادت بها درر يزينها النظم لا قولٌ وقوّالُ
بياضها السحر من اسرارهِ انكشفت غوامضُ الحكم يروي سعدها القالُ

ومنها :

تطوي وتنشر من تدبيجها غرراً والطبق والجمع والتفريق إشكالُ
حلّت عقود معانيها بتوريةٍ حلت بها الذوق والتشبيه سلسالُ
عزّت فلا وصل الّا من مكارمها برجى وبالفضل للآمال آجالُ
تلقي المدائح استاذاً بمندها وتُستقلّ بها في الحمد اقوالُ
عن حسنها غرر الاشعار قد قصرت وصفاً وبالقصر إحسان وإجمالُ
أنعم بها فعي أعرابية سفرتْ واسعدْ بطلعتها فالسعد إقبالُ
تفرّدت بين ابكار اللُّغى وعلتْ قدراً وعزّت بها بالفخر اجيالُ
صحّت بإعلالها الأفهام واعتصمتْ حكماً وفي صحّة الاحكام إعلالُ
وقد نمت نموها الافكار وارتفعتْ بنصبها منصب التفضيل ابطالُ
تنازعتها معاني الوصف واشتبكتْ بنعت عاملها الموصوف اشغالُ

ومنها :

وكم رجالٍ اقاض الدهر شهرتهم براية المجد في مضمارها جالوا
هيهات هيهات ادراكٌ لشوطهمِ قدون ذلك اخطارٌ واهوالُ
وكل علمٍ وفنٍّ ظلّ ينشدهم بدائع الشكر تقريظاً لما نالوا
لا زال يزهو سناهم كلّما خطرت للشعر في خطرات الفكر آمالُ

وفي ٣٠ تموز سنة ١٨٧٩ دعتهُ الحكومة الايطالية بواسطة قنصلها في بيروت ليتولى تحرير جريدة عربيّة « المستقل » تُطبع في كالياري (Cagliari) في سردينيا (Sardaigne) من اعمال ايطالية شأنها ان تدرأ عن المصالح العربية وتدافع عن

حقوقها وابنائها. فاجاب الى هذه الدعوة بطيب الخاطر وغاية ما يتمناهُ وقوف النفس للدفاع عن حقوق امّتهُ العربية. وواقع الامر ان اعداد المستقل « الاولى » كما سيتضح لك ذلك ما تخطّت ولا تعدّت حدّ الافصاح عن مجد العرب الباسق السابق وعن اتحاد ذلك البهاء في أخريات الايام

فغادر هذه الاصقاع مريداً اولًا رومة العظمى حيث حظي بمقابلة قداسة البابا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا الذي رمقهُ بعين الرعاية والالتفات ومنحهُ وكلَّ أسرته البركة الرسولية متمنيًا لهُ الفوز والنجاح في مهمته الجديدة

وبقي يتنقل في البلاد الايطالية من مكان الى آخر. متفقدًا ما فيها من جميل الآثار التي لم تقوَ عنيها صروف الزمان (١). وفي اثناء ذلك كتب رسالته المعنونة « عشرون يومًا في رومة » اتى فيها باطلى عبارة واجمل اسلوب على ذكر ما تحويه المدينة الابدية من الآثار التي تركها الاقدمون. وقد طُبعت منها مقالة نفيسة في وصف مشهد الالعاب القديم

ثم بدأ بتحرير « المستقل » وقبل الشروع فيهِ نشر اعلامًا هو بمكان من البلاغة اتى فيهِ على جل الغرض المقصود من انشاء هذه الجريدة. وهذا نصهُ بحروفهِ ملخصًا:

« ان بلادنا الشرقيَّة التي افل قمر سعدها من فلك المعارف والعلوم بعد ان رفعت لواءها في الحاقتين قد اشرق عليها الان شفقٌ من مجدها الغابر يبشر ظلماتها بقدوم ملك النور واستفاقت من سباتها ثابتةً أمام وثبات القاهرين فاعرب عنها لسان حالها بانها هي الامة العزيزة التي انارت شمس شرقها وقتًا ما حنادس الاصقاع الغربية .

« وان كوارث الزمان ونوازلها قد ذهبت بعظمتها الماضية التي اصبحت بياضًا على صفحات تاريخها وليس بوسع الجرائد العربيَّة ان تتصدَّى لهذا التقاعد وتندد بسوء الأحكام حتَّى اصبح امرها كوقائع قديمة يُنظَر اليها ولا يُتذهل منها. بيد اننا نعترف بالفضل لاكثر جرائدنا التي تقدمت على قدر الامكان ببيان هذا الخلل واصلاحه

« فبناء على ذلك قد عمدنا الى انشاء جريدة عربية اسمها « المستقل » افتوَّت لها ثغور الانوار في باكورة هذا العام الجديد. فهي للتائقين منبع ساطع. وللشاردين محتد

(١) من ذلك دمار بومبايي (Pompéi) راجع المشرق ٣: ٤٦١

جامع. تجوب فيافي البلاد العربية وبحارها. وتنشر ما انطوى من احوالها وبحراها. تصبو الى المناقشة الحسنة المرضية. وتأبى تراهتُها شحناء التعصُّبات المِلِّيَّة. املًا باحياء روح الاخاء بين متباغضي الاحياء والاهواء...

«هذا وان ابواب المستقل مفتوحة للجميع على اختلاف مذاهبهم فيتلقَّى بالترحاب جميع المراسلات التي ترد اليه ويبحث عن وقائع العرب السياسية والمالية. ويعارض النظامات المخلَّة والقوانين المذلَّة. وسينشر وقتًا بعد آخر اخبار معتبريهم واشرافهم. شاكرًا ما لبعضهم من المليح. وموبِّخًا ما لغيرهم من القبيح

«يُنشر المستقل في كالياري (Cagliari) احدى مدن ايطالية وعاصمة سردينيا (Sardaigne) ويصدر نهار الاحد من كل اسبوع. ويسهر موسّسوه على تقدمه وتعميم فوائده املًا بان يشبّ ويهرم فينعم مسرّة القوم ومرضاتهم»

وفي ٢١ اذار من سنة ١٨٨٠ ظهر العدد الاوّل من المستقل. فاحسن الادباء استقباله وتهافتوا على الاشتراك بهذه الصحيفة التي عظم شأنها وانتشارها واشتهر امر محرّرها. ولعبت دورًا مهمًّا في عالم الصحافة والسياسة. فتشاغلت بها الجرائد الاوربيَّة لاسيَّما الافرنسيَّة وتحدثت عنها مرارًا عديدة كما اثبت ذلك رحمهُ الله في مقالة نشرها في اعمدة تلك الصحيفة تلخص منها ما يأتي:

المستقل وجرائد فرنسة

«نحن ممَّن ولع بقراءة الجرائد الفرنسويَّة وقد زاد شغفنا بها في هذه الايام فاستلفتنا واشغلتنا لما فيها من الآيات الباهرة والعبارات الطنَّانة. وما تصفحناها الَّا ورمقنا ذواتنا بعين العجب وطبنا نفسًا بتلك العظمة والمرتبة العالية التي رفعت اليها مقامنا الذليل وما ذاك الَّا فضل من المولى الكريم يؤتيهِ من يشاء...

«فهذا مستقلنا جريدة عربيَّة تطبع في كالياري تشاغلت بهِ الجرائد الافرنسيَّة فكبَّرتهُ وعظمتهُ ونشرتهُ في جهات البسيطة الاربع وحملت اخبارهُ رُسل البرق من قطر الى قطر. فاستمالت اليهِ افكار القوم ليروا هل صدق المخبر فيما رواه. ام سمعُك يا لميدي خير من أن تراه. فتقلت موائد مكتبتنا بالرسائل البرقيَّة والتحاريز المستطيلة التي وردت الينا من المانية وسويسرة وانكلترة وباريس واميركة ايضًا تقرظ حقارتنا وتطاب

اليتا ان ندوّن اسماء اصحابها في عداد المشتركين بتلك الجريدة. . . »

ولهُ في تلك الصحيفة مقالات نفيسة في السياسة والعلم نقتطف العبارات الآتية من مقالة لهُ عنوانها « السياسة في الشتاء »:

« جاء الشتاء واكمد وجه الافق وبرد الهواء وبدا الجليد في الاصقاع الشمالية من القارة الاوربيَّة وخيّمت الغيوم فوق سماء قبليها فاثّرت هذه الغرائب الطبيعيَّة بحركات السياسة فامسكتها وانقبضت لبرودتها. ولا غرو ان تطفأ تلك الفقاقيع التي نفختها حرارة الصيف اذا ما هبَّت بها ريح القطب الشمالي المتجمد وينحصر بعدها عنصر السياسة ويأوي الى كهوفهِ ويلجأ الى ربوعهِ يستظل بها من قساوة الشتاء. على انهُ يبقى لهُ امتداد وتأثير في افلاك الوزارات وآفاق الامارات حيث اذا خمدت الحرارة فلا تهمد. واذا اشتعلت استترت وراء الهدو والسكينة ودماثة الاخلاق. ونفرت عن الجفاقة والمقاواة فانها في فصل تلطف بهِ الاحاديث كلطف الهواء وتجمل فيهِ مبادلة العواطف الودادية وتكثر فيهِ الاجتماعات والملاهي في نوادي الانس ومآدب الطعام التي تمرّد الاخلاق المجاملة والايناس

« ما زالت السياسة في اوربة تتقلّب من حال الى حال: تنقبض ببرودة الوقائع وتشتدّ بحرارتها. يكفهرّ وجه شمسها وتخيّم غيوم افلاكها فتضرب بها اطناب الكهربائيَّة فتبرق وترعد بدون ان يسيل من حرارتها مطر الدم المدرار. وليتهُ لا يسيل ابدًا. . . فلا يزال هذا البرق خلّبًا

« وكل يرى ان الهيئة الحاضرة لم تكن غير ثابتة فقط بل انها تشفّ عن مستقبل يتوعّدنا بالمصائب والنوائب. ونوازل الحروب وغوائلها. وما برح رجال السياسة يضربون دون هذه النتائج ستائر التورية والابهام ويظهرون لنا غير ما يقتضيهِ المقام. وطالما سمعنا خطبهم وقرأنا اقوالهم وكلها تبشر بالسلام والامان وتتغاضى عن الاشارة الى الاستعدادات الحربيَّة والنفقات العسكريَّة التي ناءت بوقرها مناكب اوربة

« فاذا قرأنا في جرائدهم الوزريَّة فصلًا مهمًّا فلا نرى بهِ الَّا تمويه الوقائع. والافتنان بعناية ما سلم بهِ الجميع ويجهدون انفسهم لان يخفوا علينا ما تهمنا معرفتهُ ونضطر الى النظر اليهِ جليًّا بعين مجرّدة مأونة

« فما مرّ عصر كثرت فيهِ جناسات الفصاحة وبديعها كما فاضت في ايّامنا هذه

وربما لم يمر احد في صناعة الكلام كما مر فيها رجال عصرنا. فهم يستعيضون احياناً بالكلام عن السكوت. وبالسكوت عن الكلام. فيعتقدون غير ما يفوهون به ويفوهون بضدّ ما يعتقدونهُ. واذا نادى احد رجال السياسة وقال: يا ايها الناس انتم في خطر من الحرب وشرّ غوائلها. صرخوا باعلى اصواتهم: «انهُ مجنون مغفّل لا الم لهُ بالسياسة واسرارها وان في الزوايا خبايا لا يعرفها الّا اهلها وابن بجدتها. وللاحكام ارباب يجيرون حقها ويخصهم وحدهم النظر في نظامها فانهُ وحيٌ أُنزل على قلوبهم». فعلينا ان نرضى بما نسمعهُ منهم فقط وكل ما بلغنا الى الان ينحصر بهذه العبارة الوحيدة التي صارت من قبيل اللازمة تتكرر في كل محضر وخطاب وهي: علاقتنا حسنة مع الجميع ولنا امل كبير بدوام السلم...» (التتمّة للآتي)

فنّ الفوتوغرافية او التصوير الشمسي

للاب لويس دي انسام (تابع لما سبق)

٢ تعريف الفنّ وطرائقهِ وادواتهِ

بحثنا في مقالة أُولى عن تاريخ فنّ التصوير الشمسيّ والمبادئ الطبيعية التي يركن اليها. وهذه نبذة ثانية نبحث فيها عن اساليب هذه الصناعة ولوازمها والادوات المتخذة لإحكامها وتحسينها

اعلم انّ للتصوير الشمسي فرعين كبيرين او طريقتين متشعبتين: غاية الاولى رسم الصور السلبيّة وغاية الثانية اصطناع الصور الايجابيّة

١ الصورة السلبيّة

تُصطنع الصورة السلبيّة لتُرسم عليها عدّة صور ايجابية. وهو امرٌ جوهريّ لا بُدّ منهُ لتوفير الصور على قدر ما يشاء المصوّر. ولولا الصورة السلبيّة لبقيت الصورة منفردةً لا يمكن تمثيل نُسَخها. وتدوين هذه الصورة السلبيّة انّما يكون على وجه مطلي بطلاء حسّاس يُجعل ضمن الخزانة المظلمة فتتّصل بسطح هذا الطلاء هيئة المنظورات